MALAYSIAN JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
e-ISSN: 2550-2042
http://dx.doi.org/

PENERBIT
Universiti Sultan Zainal Abidin

MALAYSIAN JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES MJIS

https://journal.unisza.edu.my/mjis

[THE QUR'ĀNIC CONCEPT OF HUMAN BEING: A THEMATIC STUDY]

التصور القرآني للإنسان: دراسة موضوعية

Mohamed Amine Hocini*[1]
Mustaffa Abdullah[1]
Fouad Bounama[2]

[1]Akademi Pengajian Islam, Universiti Malaya,
Jalan Universiti, 50603 Kuala Lumpur,
Wilayah Persekutuan Kuala Lumpur, Malaysia

[2]Department of al-hadith. Faculty of Islamic Sciences.
Al Madinah International University
Taman Desa Petaling, 57100 Kuala Lumpur, Malaysia

*Corresponding author: amine-ha@hotmail.com

Received Date: 17 November 2019 • Accepted Date: 18 December 2019

Abstract

The problem statement of this research is that the Qur'ān has widely discussed the concept of human being in a number of verses, thus, there is an immense need for the Qur'ānic concept of human to be identified and highlighted. This research aims to clarify the concept of human being in the light of the Qur'ān. This study is significant because it identifies and uncovers the concept of human being according to the Holy Qur'ān, which is very essential to develop and qualify the human being to undertake the duties he is assigned with. To reach the objectives of the research, both the inductive and the analytical approaches are used. The findings of the research show that the human concepts of the human nature and his essential essence are incorrect and contradictory. However, the Qur'ānic concept of human being is distinct and unique for the fact that it is divine, given by his creator who definitely knows him very well. The human being in the light of the Qur'ān is known where he comes from, and is distinct in his own creation, he is also a creation that is being highly valued and received great appreciation in the Qurʾān, and given a special status in the universe distinguishes him from all other creations. Yet, this honor and special status make him responsible to fulfill the mission Allah S.W.T. entrusted him with. In addition, he is a free and willing being but responsible, he is also a weak being in himself unless he depends on his Creator. Finally, this research recommends that the human being concept should be determined in the light of the Qur'ān, since it is correct, sound and comprehensive, it also emphasizes to develop an integrated approach to build the human being that takes into account the reality, characteristics and needs of that creature as mentioned in the Qur'ān.

Keywords: *Qur'ānic concept, human development, human essential essence, Qur'ānic approach*.

المخلص

تكمن مشكلة البحث في أن حديث القرآن الكريم عن الإنسان من حيث ذاته وخصائصه جاء متفرقا في الآيات الكريمة؛ فلذلك كان جمع تلك الآيات والخلوص بنظرة القرآن الكريم للإنسان على نحو شامل ومتكامل أمرا ضروريا، ويهدف هذا البحث إلى بيان معالم وملامح التصور القرآني للإنسان. هذا البحث مهم لأنه يتناول الإنسان؛ ماهيته وحقيقته وخصائصه في ضوء النظرة القرآنية المتميزة، ومعرفة الإنسان والإلمام بحقيقته وماهيته يعتبر غاية في الأهمية إذ لا يمكن القيام بعملية بناء الإنسان وعمارته –ثم تأهيله للقيام بمهمته الوظيفية– على أسس سليمة إلا بمعرفته المعرفة الحقة والتي لا يمكن إيجادها خارج الإطار القرآني، وللوصول إلى أهداف البحث اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي لتتبع وجمع الآيات التي تحدثت عن الإنسان وخصائصه وماهيته، مع الرجوع إلى المصادر التفسيرية القديمة والحديثة التي تطرقت إلى هذا الموضوع، وإضافة إلى ذلك، اعتمد الباحث المنهج التحليلي لتحليل النصوص القرآنية لاستنباط نظرة القرآن الكريم للإنسان من حيث ماهيته وخصائصه. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: أن التصورات البشرية للإنسان تتميز بالقصور والتناقض بين تصور يحط من قيمة الإنسان وآخر يرفعه إلى مقام الألوهية، وأن الرؤية القرآنية للإنسان متميزة وفريدة من نوعها لأنها من عند الله تعالى خالق هذا الإنسان فهو –وحده– الأعلم به، فالإنسان في التصور القرآني معلوم الأصل والمصدر، متميز في ذاته وخلقه وتركيبته، وهو مخلوق مكرم نال تقديرا وحفاوة كبيرين في الخطاب القرآني، وله منزلة خاصة في الكون تميزه عن سائر الموجودات، حيث سخر له جميع ما في الأرض لينتفع به، وهذا التكريم وهذه الحفاوة ليسا لذات الإنسان وإنما للمهمة الشريفة التي أنيطت به، والدور الجلل الذي كلف بأدائه وهو خلافة الله في أرضه؛ فهو شُرِّفَ لأنه كُلِّفَ. وهو كائن حر وذو إرادة ولكنه مسؤول، كما أنه كائن ضعيف في ذاته ما لم يعتمد على خالقه. ومن أبرز توصيات البحث: ضرورة تحديد التصور للإنسان في ضوء القرآن الكريم لأنه الصحيح والسليم، ليتم –وفق هذا التصور– وضع منهج متكامل لبناء الإنسان يراعي حقيقته وخصائصه وحاجياته.

الكلمات المفتاحية: التصور القرآني، بناء الإنسان، ماهية الإنسان، المنهج القرآني.

Cite as: Mohamed Amine Hocini, Mustaffa Abdullah & Fouad Bounama. 2020.Tasawwur al-Qur'ani lil Insan: Dirasat al-Mawdu'i. *Malaysian Journal for Islamic Studies* 4(1): 17-28.

المقدمة

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يلاحظ أنه قد أكثر من الحديث عن الإنسان، وتعرض لجوانب مختلفة تخصّه، فقد تحدث عن أصل خلقه ومكانته، وخصائصه وأحواله، وسيرته في هذه الأرض ومهمته فيها، وتاريخه مع خالقه وموقفه من الرسل والرسالات، وغيرها من القضايا الجوهرية المتعلقة بالإنسان فردا وجماعة، فهذا الكم الهائل من الآيات يعتبر غاية في الأهمية كونه يقدم نظرة متكاملة عن الإنسان من خالقه الذي أوجده، وتجدر الإشارة إلى أن معرفة الإنسان معرفة متكاملة تعتبر أمرا أساسيا وضروريا في عملية البناء الإنساني، إذ لا يمكن القيام بعملية بناء الإنسان وعماراته –ثم تأهيله للقيام بمهمته الوظيفية– على أسس سليمة إلا بمعرفته المعرفة الحقة والتي لا يمكن إيجادها خارج الإطار القرآني، فكيف يتصور لمن لم يفهم حقيقة الإنسان وطبيعته أن يحسن عملية البناء ويعرف طرائقها؟ فإن أي مسعى للبناء يغفل حقيقة الإنسان من كل جوانبه سيكون محض عبث (شريعتي، 1411هـ). ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة إذ تهدف إلى بيان ملامح التصور القرآني للإنسان.

تعريف المصطلحات:

التصور: جاء عند الجرجاني: "التصور عند علماء النفس هو حصول صورة الشيء في العقل، وإدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات" (الجرجاني، 1405هـ). والمراد بالتصور في هذا البحث النظرة والرؤية للشيء في ضوء شيء آخر.

القرآن الكريم: هو "كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه" (الطيار، 2016).

الإنسان: جاء في التعريفات: هو الحيوان الناطق (الجرجاني، 1405هـ)، "والمراد بالحيوان في هذا المقام: الجسم النامي الحسّاس المتحرك بالإرادة...والمراد بالناطق في هذا المقام: المحصّل للعلوم بقوّة الفكر، وليس المقصود به النّطق اللّساني، لأن الأخرص والساكت يعتبر إنساناً"(ابن النجار، 1993)، وجاء في المعجم الوسيط بأنه: "الكائن الحيّ المفكّر" وجمعه أناسي (الزيات، 1985). والمقصود به في هذا البحث هو الكائن الحيّ المفكر الذي يعمل المنهج القرآني على بنائه وتأسيسه من شتى الجوانب ليقوم بدوره في هذا الوجود.

التصور القرآني للإنسان: فالمقصود بالتصور القرآني للإنسان في هذا البحث نظرة القرآن الكريم للإنسان من حيث حقيقته وخصائصه ومميزاته ودوره وغايته.

تعريف الإنسان:

لا يوجد في القرآن الكريم تعريف مباشر ومحدد للإنسان على طريقة التعاريف الاصطلاحية والحدود المنطقية، وإنما يمكن تحديد مفهوم الإنسان وماهيته من خلال النظر في الآيات القرآنية المختلفة التي تحدثت عن الإنسان في مختلف شؤونه وأوضاعه، فمن مجموع تلك الآيات سيتشكل عندنا المفهوم المتكامل عن نظرة القرآن للإنسان، وقبل ذلك سنستعرض المحاولات المتعددة لتعريف الإنسان وحقيقته والتي قام بها الإنسان ذاته انطلاقا من تصوره المحض معزولا عن الوحي كصنيع الفلاسفة وعلماء الاجتماع وغيرهم، وذلك حتى يتبين اختلاف التصور القرآني عن التصور البشري للإنسان والقضايا المتعلقة به.

أ. الإنسان بين القديم والحديث

تباينت نظرة المفكرين والفلاسفة حول مفهوم الإنسان وحقيقته، حتى تشكلت نظرات ورؤى مختلفة تصل إلى حد التناقض، وسنستعرض في هذا المقام أهم تلك المذاهب ونظرتها للإنسان.

يعتبر التصور الديني للإنسان أحد أبرز التصورات التي كانت منتشرة في القديم، حيث شهد تسلط رجال الدين على الناس وصاروا طواغيت يستعبدونهم، وحطوا من قدر الإنسان وجردوه من إرادته، وفرضوا عليه قوانين تخالف طبيعته وفطرته، وغدوا يتحكمون فيه بشكل متعسف تحت غطاء الدين (الجهني، 1420هـ)، كما اشتهرت النظرة الدينية بوقوفها في وجه العلم وهيمنتها على الأفكار واضطهادها لكل من يخالفها في الرأي، فقد بلغ بها الحد إلى إقامة محاكم التفتيش المشهورة واتهمت العلماء بالهرطقة، فكل من تسول له نفسه استخدام عقله والمساهمة في العلم فإنه يتعرض لعقاب شديد، كما حصل مع جاليلو جاليلي حيث عذب عذابا شديدا وهو في السبعين من عمره فقط لأنه اكتشف التلسكوب (شريعتي، 1411هـ)، فالإنسان في ظل النظرة الدينية التقليدية كائن عاجز فاقد لنفسه، وفاقد لكرامته ومسلوب الحرية، فدوره الوحيد والأوحد الخضوعُ لما يمليه رجال الدين تحت غطاء النيابة عن الله كما يزعمون، حتى ولو أفقدتهم إنسانيتهم.

وفي مقابل النظرة الدينية للإنسان نجد النظريات والتصورات الغربية والتي ترتكز في معظمها على أصل واحد كبير –وإن اختلفت في التفاصيل– والذي يتمثل في حيوانية الإنسان وماديته، إذ الإنسان حيواني الأصل والنسب وحيواني المشاعر والأفكار، كما تتمحور هذه النظريات على الإنسان ولا شيء غير الإنسان (قطب، 1989؛ التصور الإسلامي للإنسان، د.ت)، فأصحاب هذه النظرية كدارون وفرويد وماركس وغيرهم ينطلقون من كون الإنسان كائنا أرضيا بحتا، مقطوع الصلة بالسماء، فمن النادر أن يرقى بروحه ومشاعره عن عالم الأرض (قطب، 1989) وبطبيعة الحال فقد أسقطت هذه الفلسفة من حساباتها وجود قوة عليا خالقة وبالتالي نفت كل ما يتصل بهذه الفكرة من قيم أخلاقية وروحية، ومن ذلك نفيها للدين الذي يقوم على عبادة الخالق، فلا يوجد أي اعتبار

للقيم المعنوية في ظل النظرة الحيوانية والمادية للإنسان (قطب، 1989). وبما أن هذه نظرتَها فقد جردت الإنسان من كرامته على اعتبار أن قصة خلق آدم وتكريمه محض أسطورة وخرافة، وفي نفس الوقت قامت بتحقير الإنسان إذ صورته على أنه مجموعة من الغرائز والشهوات، وأنه لا يتوقف عن الاستجابة لدافع الغريزة بداخله ما وجد إلى ذلك سبيلا، وهذا دأبه من يوم يولد إلى يوم يموت (قطب، 1989). فالنظرة المادية والحيوانية للإنسان تقوم أساسا على الاهتمام بالجانب المادي الذي يمكن إدراكه والإحاطة به، والتمتع بالملذات الحسية هو السبيل الأوحد لتتحقق إنسانية الإنسان بشكل كامل، إذ هي الشيء الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يلمسه ويدركه (الجهني، 1420هـ).

إن لمحة سريعة في هذه التصورات التي قامت بتعريف الإنسان وتحديد ماهيته وكينونته تنبئ عن اضطراب وتضارب وتناقض وانحراف عن الحقيقة بشكل كلي أو جزئي، ويرجع ذلك في قصور نظرتهم وافتقارهم للآلات التي تمكنهم من معرفة ماهية الإنسان، ولا سبيل إلى تحصيل الآلات والأدوات التي يمكن من خلالها تكوين صورة متكاملة ومنطقية عن ماهية الإنسان وكينونته إلا بالرجوع إلى الوحي، فمن خلال ما سبق يبدو جليا كيف تباينت نظرة المفكرين والفلاسفة حول مفهوم الإنسان وحقيقته، حتى تشكلت نظرات ورؤى تقف على طرفي نقيض، طرف انحط بالإنسان إلى الحضيض وجرده من إرادته وحريته، وصوره على أنه كائن عاجز، لا هم له إلا تنفيذ إرادة الله وجعلته يقدم نفسه قربانا للآلهة، وهذا ما فعلته الأديان والمذاهب القديمة، ولهذا السبب وكردة فعل للتصور الديني للإنسان؛ ظهرت في عصر النهضة وما بعدها فلسفة مخالفة تماما للنظرة السابقة ومتمردة عليها والمتمثلة في نظرية أصالة الإنسان "أومانيسم" والتي تعني نظرية تقديس الإنسان، حيث عملت على رد الاعتبار للإنسان وتمكينه هو فقط من التفكير والتنظير لنفسه ولحياته من منطلق ذاتي، فنتج عن ذلك أنها رفعت الإنسان إلى مقام كبير قد يبلغ درجة التأليه، وأعطت العقل السلطة المطلقة فله وحده الحل والعقد (شريعتي، 1411هـ؛ حرب، 1998).

فإذا تبين أن هذه التصورات والمفاهيم التي صاغها الإنسان الغربي في معزل عن الوحي تتميز بالانحراف والضلال فلا يمكن بحال من الأحوال أن يعتمد عليها في وضع منهج لبناء الإنسان بله بناء حضارته، إذ سيكون البناء –لا محالة– هشا وخاطئا وسيضر أكثر مما ينفع ويفسد أكثر مما يصلح، وخير دليل على عجز تلك التصورات عن وضع منهج متكامل لبناء الإنسان والحضارة بصفة تجعله يعيش في سعادة ورخاء هو الحضارة الغربية البائسة، التي تتخبط في الحيرة والتيه والشقاوة الروحية وجردت الإنسان من كل قيمه واعتدت على إنسانية الإنسان فردا وجماعة، فهذه الحضارة تعتبر ثمرة لتلك التصورات والمفاهيم الخاطئة والمنحرفة عن الإنسان، فهي تفتقر أساسا إلى التصور الصحيح للإنسان فكيف لها أن تصوغ له منهجا يراعي خصائصه وحاجياته؟ فلذلك تتأكد ضرورة تحديد التصور الصحيح والسليم للإنسان في ضوء القرآن الكريم ليتم –وفق هذا التصور– وضع منهج متكامل لبناء الإنسان يراعي حقيقته وخصائصه وحاجياته (عبده ويحي، 1981؛ العقاد، د.ت).

ب. الإنسان في القرآن الكريم:

بعد الاستعراض الموجز للتصور الغربي للإنسان والذي تبين لكل عاقل أنه مجانب للصواب، وأنه لم يحط بحقيقة الإنسان وماهيته، وذلك لأنه يفتقر للآليات التي تمكنه من الإلمام بحقيقة الإنسان من جميع جوانبه، سنستعرض نظرة القرآن الكريم للإنسان وكيف يصور حقيقته وماهيته وكينونته، وهنا يتبادر إلى أذهاننا تساؤل عن مدى اختلاف مفهوم الإنسان في النظرة القرآنية عن سابقتيها: فهل الإنسان في نظر القرآن كائن عاجز هدفه وغايته الاستسلام لله، بمعنى آخر هل النظرة القرآنية تقيد الإنسان وتسجنه وتحد من قدراته وطاقاته تماما مثل النظرة الدينية التقليدية؟ أم ينظر إليه بنظرة الأصالة التي تعترف بقيمته وتقر بعظمة خصائصه وقدرته وقد ترفع الإنسان إلى أعلى مقام قد يصل إلى حد الألوهية؟ (شريعتي، 1411هـ) فمن هو الإنسان في القرآن الكريم؟

إن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل، ولا يفتؤ يكرر حقيقة أن الله هو خالق كل شيء، بما في ذلك الإنسان، ويقدم الأدلة والبراهين التي تثبت صدق هذه الحقيقة، فإذا كان الأمر كذلك، فمن البديهي إذن أن نسلم للقرآن الكريم تفرده بالنظرة الصحيحة والسليمة المتكاملة للإنسان، إذ لا يمكن الجواب عن الأسئلة المتعلقة بالإنسان في غير هذه العقيدة الدينية (العقاد، د.ت). فمن هنا تتأكد ضرورة أخذ حقيقة هذا المخلوق عن الله تعالى وحده وذلك من خلال كتابه؛ فهو وحده أعلم بالإنسان العلم الكامل لأنه خالقه. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: 14) فالمنطق يملي أنه لا بد للخالق أن يكون عالما بمخلوقه (الرازي، 1420هـ؛ القرطبي، 1964).

أول ما يلاحظه قارئ القرآن الكريم هو مركزية الإنسان في الخطاب القرآني إذ يحفل بهذا الكائن أكثر مما يحفل بغيره، فهو يعرفه بذاته وهذا واضح من خلال كثير من الآيات القرآنية، فأول آية نزلت بدأت تتكلم مباشرة عن خلق الإنسان وأصله وخالقه، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 1-5)، كما نجد أن الآيات الأولى من حيث الترتيب في المصحف تتحدث عن الإنسان، إذ تكلمت عن أصناف الناس وقسمتهم إلى مؤمنين وكفار ومنافقين ثم عرفتهم بأصلهم وخلقهم من خلال قصة أبيهم آدم، وتحدثت عن المنزلة التي بوأه الله عز وجل إياها والتكريم الذي كرمه به (البوطي، 1998). فهذا الاحتفاء الكبير بالإنسان وهذه المركزية التي نالها هذا المخلوق في الخطاب القرآني تؤكد الإلمام الكبير والدقيق الذي تتميز به نظرة القرآن الكريم للإنسان، ولقد قدم القرآن الكريم الإنسان من عدة زوايا سنستعرضها ليتكون لدينا المفهوم المتكامل عن حقيقة الإنسان:

خلق الإنسان: تحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان وأصله ومصدره وقد أشار إلى أنه خلق من عدم، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: 67)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ (الإنسان: 1)، ثم ذكر أن أصل هذا الكائن هو آدم عليه السلام

خلقه الله عز وجل بيديه من مادة التراب والطين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر: 26)، ثم نفخ فيه من روحه وخلق له زوجه وصار تكاثر الإنسان عبر النطفة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ (الإنسان: 2)، ويجمع ذلك كله قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (فاطر: 1-5). فالقرآن الكريم يؤكد كون الإنسان مخلوقا وأنه سبحانه وتعالى هو خالقه والمادة التي خلق منها معروفة وهي الطين، فلم يأت هذا الكائن عن طريق الصدفة من خلال بعض التفاعلات الطبيعية والبيئية، ولا عن طريق تطور بعض الكائنات الحية وليس سليل نوع معين من الحيوانات كما تزعم بعض النظريات. فالقرآن بين بكل وضوح وتفصيل مصدر الإنسان فهو بالنسبة للمسلمين أمر معلوم غير مجهول، في حين أن هذه القضية تعتبر إشكالية عويصة عند المفكرين والفلاسفة الغربيين والتي يعبر عنها بمأتى الإنسان وأصله.

الإنسان كائن متميز ومكرم: مكانة الإنسان في القرآن عظيمة جدا فهو بحق كائن متميز ومكرم بأرقى صفات التكريم، ولقد جلّى الله عز وجل هذه الحقيقة فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70)، وقد تعددت آراء المفسرين والعلماء في تحديد مناحي هذا التكريم، وقد ذكر القرطبي بعض الآراء كقولهم إن المقصود هو: النطق والتمييز، واعتدال القامة وتمديدها، وحسن الصورة، وتسخير الكون لهم، وغيرها من الآراء، ثم عقب بقوله: "والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف" (القرطبي، 1964)، ولكن الحق أن يقال إن هذه الآية تتسع لكل ألوان التكريم التي ذكرها المفسرون (العجمي، 1983)، وفيما يلي استعراض لبعض مناحي التكريم:

أ- كيفية الخلق والتسوية: حيث إن الله عز وجل خلقه بيديه، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (ص: 75) (الدارمي، 1998). كما تتمثل في مكونات وعناصر هذا الإنسان حيث إن الله عز وجل نفخ فيه من روحه، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص: 72)، وخلقه في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: 4)، (قطب، 2013).

ب- سجود الملائكة: فقد أكرمه الله عز وجلّ بأن أمر ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ (البقرة: 34)، هذا من أصالة الإنسان، فهل توجد رفعة للإنسان أكثر من هذا الحد؟ إلى درجة أن الملائكة الذين يتفوقون على الإنسان من ناحية العنصر التركيبي، فهم خلقوا من نور في حين أن آدم عليه السلام خلق من طين ومع ذلك فهم يسجدون له امتثالا لأمر الله عز وجل (شريعتي، 1411هـ؛ قطب، 2013)، ويأتي هذا السجود بسبب خصيصة كانت عند آدم ولم تكن لهم وهي العلم بأشياء لا تعرفها الملائكة.

ت- تسخير الكون للإنسان وتهيئته له: أخبر الله عز وجل الإنسان بأن هذا الكون وما فيه مسخر له يستفيد منه ليقيم حياته وليتمتع بمنافعه على الوجه المشروع فقد قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (الجاثية: 13)، فما على الإنسان إلا أن يسعى في هذا الوجود وأن يأخذ بالأسباب المشروعة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (الملك: 15)، كما جعله سيدا على المخلوقات يروضها لخدمته، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (يس: 73- 75)، (قطب، 2013).

ث- تمييزه بمهمة شريفة وهي الخلافة عن الله عز وجل: لقد بوأ الله عز وجل الإنسان مكانة عالية وعظيمة، لم تمنحه إياه أي نظرية تقدس الإنسان وتعظمه حتى نظرية أصالة الإنسان (أومانيسم) لم تفرض له هذه القدسية (شريعتي، 1411هـ)، فهذا الكائن شرّف بأنه خليفة لله في أرضه، اختاره من بين جميع المخلوقات وحباه بهذه المزية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30)، (قطب، 2013)، وتعتبر مهمة الخلافة عن الله عز وجل أكبر مزية تناط بالإنسان.

فهذه بعض مناحي التكريم التي تبين أن الإنسان في التصور القرآني كائن مكرم وله ميزات تفرد بها عن سائر المخلوقات، ويذكر سيد أن "الاعتقاد بكرامة الإنسان على الله، يرفع من اعتباره في نظر نفسه، ويثير في ضميره الحياء من التدني عن المرتبة التي رفعه الله إليها، وهذا أرفع تصور يتصوره الإنسان لنفسه.. أنه كريم عند الله. وكل مذهب أو تصور يحط من قدر الإنسان في نظر نفسه، ويرده إلى منبت حقير ويفصل بينه وبين الملأ الأعلى هو تصور أو مذهب يدعوه إلى التدني والتسفل ولو لم يقل له ذلك صراحة!" (قطب، 2013).

الإنسان كائن غائي مكلف بمهمة شريفة وهي الخلافة وحمل الأمانة: فهو صاحب مهمة في هذا الوجود، اختاره الله عز وجل لأدائها والنهوض بأعبائها وذلك لما تميز به من قدرات عن باقي الموجودات، فهو مؤهل للقيام بهذا الدور المنوط به والذي اعتذرت كل المخلوقات عن تحمله، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ (الأحزاب: 72)، فبقبوله لهذه المهمة والتي تعتبر مهمة الحياة صار الإنسان خليفة عن الله عز وجل في أرضه، يتصرف فيها بما يرضي الله تعالى إلى أجل مسمى، وفي تقديم القرآن للإنسان بأنه كائن صاحب مهمة وصاحب دور في الوجود ردٌ واضح على أصحاب التصورات والرؤى التي تجرد الإنسان عن أي مهمة وتنزع عنه أي حكمة وسر من وراء وجوده في هذا الكون، وتزعم أنه إنما خلق عبثا، وتهوي به إلى الحيوانية يعيش هذه الدنيا يأكل ويشرب ويتمتع وينتظر أجله، فإذا جاء أجله انتهت صفحة حياته وصار في طي العدم، وهذه الأفكار والتصورات كانت ولا تزال منتشرة، فقد حكى القرآن بعض أقوالهم فقال: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام: 29)، فلذلك بين الله عز وجل بكل وضوح أن الإنسان لم يخلق عبثا وإنما خلق لحكمة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: 115).

الإنسان مميز بأنه صاحب إرادة وحرية ولكنه مسؤول: من أعظم خصائص الإنسان في نظر القرآن هو إرادته وحريته، فهو الكائن الوحيد الذين يمكنه أن يخرج عن الصورة التي خلق عليها، وهو الوحيد الذي يمكنه أن يخرج عن طبيعته وفطرته، كاحتياجاته المادية والمعنوية وغرائزه الجسدية(شريعتي، 1411هـ)، فللإنسان مطلق الحرية والإرادة في فعل الخير أو الشر، وله مطلق الإرادة والحرية في الفعل أو الترك، وقد ورد هذا المعنى كثيرا في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: 3)، وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: 10)، فالله عز وجل بين له طريق الخير والهدى وطريق الشر والضلال، لكن الإنسان بمحض إرادته يختار أي طريق يسلك: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: 29)، وهنا يجب التنبيه على أمر مهم وهو أن كون الإنسان متميزا بالإرادة والحرية يجعله مسؤولا على أفعاله، إذ إنه سيحاسب عليها يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ (آل عمران: 30)، (قطب، 2013). وكون الإنسان حرا فيه رد لبعض التصورات الدينية القديمة التي تشل وتقيد الإنسان وتسلبه إرادته واختياراته، وأما كونه مسؤولا ففيه رد على التصورات الحداثية والغربية المعاصرة والتي تجعل الإنسان حرا إلى درجة إعفائه من الحساب في الآخرة.

الإنسان كائن ضعيف في ذاته ما لم يعتمد على خالقه (عكام، 1999؛ قطب، 2013): ذكر القرآن الكريم أن الإنسان خُلقَ ضعيفا، فقال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 28) ، وقد بينت آيات كثيرة وعديدة مظاهر ضعفه التي منها السرعة والعجلة كما في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء: 37)، وقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: 11). ومظاهر أخرى كالكفر والقنوط واليأس كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (الأنبياء: 67)، وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (فصلت: 49). فهذه بعض المظاهر التي تبين عجز هذا المخلوق وكثرة عيوبه ونقائصه، ولا سبيل لإصلاحها إلا باتباع تعليمات خالقه إذ هو أعلم به من نفسه فلا يمكنه الاستقلال عنه بحال من الأحوال، وقد بين الله عز وجل فقر الناس والبشرية كلها إليه واستغناءه هو عنها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فصلت: 49). فالإنسان كائن ضعيف ما لم يعتمد على خالقه، وفي هذا رد على الذين يرفعون الإنسان فوق المنزلة المعقولة ويعطونه القدسية المطلقة وقد بلغ الحد ببعضهم إلى تأليهه، حيث ذكروا أن للإنسان القدرة الكاملة والحرية المطلقة في التنظير لحياته انطلاقا من ذاته دون الحاجة إلى موجه خارجي يرجع إليه ولو كان خالقَه، وهذا التصور خاطئ ومجانب للصواب، فقد سبق بيان أن الإنسان ضعيف ولا يمكنه أن ينظّر لحياته –التنظير الصحيح– إلا بالاعتماد على توجيهات خالقه.

يتبين من خلال ما سبق أن الرؤية القرآنية للإنسان متميزة عن غيرها من الرؤى والتصورات، فهي ألمت بحقيقة هذا الكائن من كل جوانبه وعرضتها بشكل منطقي منسجم تتناسب مع الطبيعة البشرية، فأهم خاصية للتصور القرآني للإنسان أنه تمكن من الإحاطة بقضية الوجود الإنساني من كل الجهات: "مأتى وطبيعة وغاية، ومنزلة في الكون، ووظيفة معهودة" (النجار، 1993). ففي ظل النظرة القرآنية للإنسان لا يبقى أي لبس وغموض حول

هذا الكائن، فهو معلوم الأصل والمصدر متميز في ذاته وخلقه وتركيبته وهو مخلوق مكرم نال تقديرا وحفاوة كبيرين في الخطاب القرآني، وله منزلة خاصة في الكون تميزه عن سائر الموجودات، حيث سخر له جميع ما في الأرض لينتفع به، وهذا التكريم وهذه الحفاوة ليسا لذات الإنسان وإنما للمهمة الشريفة التي أنيطت به، والدور الجلل الذي كلف بأدائه وهو خلافة الله في أرضه فهو شُرِّفَ لأنه كُلِّفَ. وهو كائن حر وذو إرادة ولكنه مسؤول. فهذه هي معالم وملامح التصور القرآني للإنسان بشيء من التفصيل، تؤكد كون الرؤية القرآنية متميزة وفريدة من نوعها وأنها الأنسب. فبعد كل هذا البسط والتفصيل، يجب الاعتقاد الجازم بأنه لا توجد عقيدة في الإنسان والإنسانية أصح وأصلح من تلك التي تستوحى من القرآن الكريم، لأنها الوحيدة التي تنظر إليه نظرة عارفة به عالمة بدقائقه (العقاد، د.ت). فإذا كانت النظرة القرآنية بهذا التميز فهي الأولى في أن تخط له المنهج الذي يبنيه ويؤسس له حضارته.

وفي الأخير، لنقارن بين هذه النظرة القرآنية المنطقية والمتكاملة والتي تؤكد أن الإنسان ليس كائنا مستحقرا وذليلا أمام الله عز وجل وجل (شريعتي، 1411هـ) ، بل تكرمه وترفعه وتخبره بأنه كائن متميز واختارته لأن يكون خليفة عن الله عز وجل في الأرض، فهو كائن ذو مهمة شريفة وما لم يقم بأعباء هذه المهمة فلن يكون له أي معنى، وبين النظرة التي سلبت الإنسان كرامته وجردته من قيمته وصادرته حريته ليصبح مثل الحيوان العاجز ليس له إلا الانقياد، إما لرجال يمارسون عليه قهرهم ودكتاتوريتهم، وإما لشهواته ونزواته يستجيب لها كلما دعته لا هم له إلا تلبية رغباتها. فالتصور القرآني وسط بين تصورين متطرفين، طرف يقيد الإنسان ويصادره حريته ويصوره على أنه كائن عاجز وحقير، وطرف آخر يحرر الإنسان من كل قيد ويمنحه قدسية مطلقة تجعله إله نفسه*. فإن "مكان الإنسان في القرآن هو أشرف مكان له في ميزان العقيدة وفي ميزان الفكر، وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع الكائن بين عامة الكائنات" (العقاد، د.ت).

الخاتمة:

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. أن التصورات التي قامت بتعريف الإنسان وتحديد ماهيته وكينونته تنبئ عن اضطراب وانحراف عن الحقيقة بشكل كلي أو جزئي، ويرجع ذلك إلى قصور نظرتهم وافتقارهم للآلات التي تمكنهم من معرفة ماهية الإنسان.

* وفي هذا السياق يحسن أن نورد بعض التعاريف التي ذكرها بعض الذين كتبوا في قضايا الإنسان من منظور إسلامي، فقد عرفه أبو اليزيد العجمي بأنه "الكائن المكلف، لأنه من بين سائر المخلوقات التي تعيش على وجه الأرض مناط التكليف والمسؤولية كما أشار القرآن إلى ذلك" (العجمي، 1983). وعلى الرغم من كون هذا التعريف مجملا إلا أنه يعكس ملامح النظرة القرآنية للإنسان، لأنه تعريف للإنسان بخاصية دوره ومجال تميزه. وعرفه محمود عكام بقوله: "الإنسان كائن حي موجود بالاضطرار، متميز عن بقية الكائنات الحية بآلية المعرفة، وقدرة الاختيار، أهّل بهذا للتكليف، فكان الأول في النوع خَلقا ومكانةً من حيث التصنيف". (عكام، 1999). فيلاحظ أن هذا التعريف يعكس معالم النظرة القرآنية للإنسان على نحو مفصل.

2. أن نظرة المفكرين والفلاسفة حول مفهوم الإنسان وحقيقته متباينة؛ حتى تشكلت نظرات ورؤى تقف على طرفي نقيض، طرف انحط بالإنسان إلى الحضيض وجرده من إرادته وحريته، وطرف آخر قدس الإنسان ورفعه إلى مقام الألوهية.
3. أن معالم وملامح التصور القرآني للإنسان تؤكد كون الرؤية القرآنية متميزة وفريدة من نوعها، لأنها من عند الله تعالى خالق هذا الإنسان، فمن هنا تتأكد ضرورة الرجوع إلى القرآن عند الحديث عن مفهوم الإنسان وخصائصه وماهيته.
4. أن القرآن الكريم تحدث عن الإنسان من عدة زوايا:

-خلق الإنسان: حيث تحدث القرآن الكريم عن خلق الإنسان وأصله ومصدره، فالقرآن بين بكل وضوح وتفصيل مصدر الإنسان.

-الإنسان كائن متميز ومكرم: ومن مظاهر هذا التكريم: كيفية الخلق والتسوية، أمر الملائكة بالسجود له، تسخير الكون للإنسان وتهيئته له، تمييزه بمهمة شريفة وهي الخلافة عن الله عز وجل.

-الإنسان كائن غائي مكلف بمهمة شريفة وهي الخلافة وحمل الأمانة.

-الإنسان مميز بأنه صاحب إرادة وحرية ولكنه مسؤول.

-الإنسان كائن ضعيف في ذاته ما لم يعتمد على خالقه.

5. أن مكانة الإنسان في التصور القرآني فريدة ورفيعة جدا، سواء في ذاته أو في دوره.

التوصيات:

يوصي الباحث في نهاية هذه الدراسة بما يلي:

1. مراعاة حقيقة الإنسان وماهيته وخصائصه كما وردت في التصور القرآني عند صياغة البرامج التربوية والتكوينية التي تعنى ببناء الإنسان وتأسيسه.القيام بدراسات تتناول بعمق وتفصيل التصور القرآني للإنسان من كل الجوانب.
2. كتابة دراسات حول التصور القرآني للإنسان من خلال كتب التفسير.
3. القيام بدراسات مقارنة معمقة بين التصور القرآني للإنسان والتصورات الأخرى.

المصادر والمراجع

إبراهيم مصطفى، أحمد الزّيات، حامد عبد القادر ومحمد النّجار، (1985)، **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة: دار الدعوة، (ط1).

ابن النّجار، الفتوحي، (1413هـ، 1993م)، **مختصر التحرير شرح الكوكب المنير**، الرّياض: مكتبة العبيكان.

البوطي، محمد سعيد رمضان، (1998م)، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، دمشق: دار الفكر، (ط3).

الجرجاني، علي بن محمد، (1405هـ)، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب العربي، (ط1).

الجهني، مانع بن حماد، (1420هـ)، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، القاهرة: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، (ط4).

حرب، علي، (1998م)، **الماهية والعلاقة: نحو منطق تحويلي**، بيروت: المركز الثقافي العربي.

الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد، (1998م)، **نقض الإمام الدارمي على المرسي**، الرياض: مكتبة الرّشيد.

الرازي، أبو عبد الله، (1420هـ)، **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (ط3).

شريعتي، علي، (1411هـ)، **الإنسان والإسلام**، طهران–إيران: دار الصحف للنشر، (ط2).

الطيار، مساعد بن سليمان، (2016)، **المحرر في علوم القرآن**، المملكة العربية السعودية: معهد الإمام الشاطبي، (ط6).

عبده، عيسى، يحي، أحمد إسماعيل، (1981م)، **حقيقة الإنسان**، القاهرة: دار المعارف، (ط2).

العجمي، أبو اليزيد، (1404هـ، 1983م)، **حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم**، سلسة دعوة الحق العدد 22.

العقاد، عباس محمود، (د.ت)، **الإنسان في القرآن الكريم**، القاهرة: دار الإسلام، (ط2).

عكام، محمود، (1419هـ، 1999م)، **الإسلام والإنسان**، حلب: فصّلت للدراسات والترجمة والنّشر، (ط2).

القرطبي، أبو عبد الله، (1384هـ، 1964م)، **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة: دار الكتب المصرية، (ط2).

قطب، سيد، (1434هـ، 2013م)، **في ظلال القرآن**، القاهرة: دار الشروق، (ط40).

قطب، محمد، (1409هـ، 1989م)، **الإنسان بين المادية والإسلام**، القاهرة: دار الشروق، (ط10).

النجار، عبد المجيد، (1413هـ، 1993م)، **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل بحث في جدلية النص والعقل والواقع**، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (ط3).

التصور الإسلامي للإنسان، دعوة الحق، العدد 145.

http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/3688.